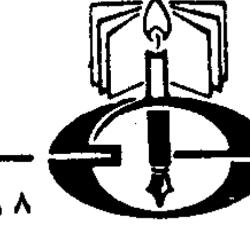
الاستقامة

فلاح فى الدنيا .. ونجاة فى الآخرة

بقلم

د . عبد الحى الفرماوى
أستاذ التفسير بجامعة الأزهر



دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب ت : ٣٩١١٩٦١ ص . ب : ١٦٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ آمين .

تقديم

إن الخروج من أزمة التخلف الذى تعيشة المجتمعات الإسلامية ، لا يمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالإسلام ، وحضارته وثقافته ونظامه القيمى .

ولهذا .. فإن البحث حول استخراج أدوات للخروج من هذه الأزمة والنهوض بهذه الأمة من داخل الحضارة الذاتية الإسلامية ، يغدو المسلك الأمثل ، إن لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم متابعة لا يتهددها : خطر الاندفاع الذى ينخلع أصحابه من ذاتهم ، ولا خطر الرفض والتحفظ ، ومقاومة الأدوات « الخارجية » الوافدة الغريبة ، التى تحمل فى طياتها مداخل متعددة للتبعية ، وفقدان الاستقلال ، وضياع الهوية [1] .

وإذا كانت القوانين والنظم تتبارى فى تقديم الحلول لأزمات شعوبها ، والوسائل الكفيلة لإسعاد هذه الشعوب ، والمناهج الرامية إلى جعلها تتفوق على غيرها من الشعوب . ومن أجل ذلك

(١) انظر مجلة العربى عدد ٣١٩ ص ١٩ ، ٢٠ .

فأصحابها يدخلون عليها من التعديلات - دائما ما يأملون أن - يجعلها تتلاءم وظروف من يؤمنون بها ، فيحذفون ويضيفون ما يرونه كفيلا بتحقيق هذا الغرض .

بيد أنه بمقياس تسابق الأمم : كان اختراع آلات الدمار ، والتسلح المسعور ، لاستعباد وإذلال بعض الأمم لغيرها ، وفشلت هذه الأنظمة - مهما تمسك أتباعها بمبادئها وانتصروا لها ، واقنعوا الغير بها - فى تحقيق التوازن العالمى ، والرخاء المنشود ، والعدالة المأمولة ، والسلام لسكان المعمورة ، وإقرار قيم الحق والخير ، واحترام الفضيلة وحقوق الآخرين ، بل سارت فى طريق الانهيار ، وضاع أمن الشعوب ، وعم انحلال أخلاق أفرادها ، وشاع الفساد بين ربوعها ، وتخلفت إنسانيا وحضاريا ، وإن كانت قد أحرزت بعض التفوق المادى ، وصاروا « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » [1] .

أما الدين الإسلامى ، بتشريعاته وقوانينه المنظمة لحياة معتنقيه وأتباعه فقد تكفل منذ بروزه إلى الوجود بتقديم الحلول لأزمات شعوبه ، والوسائل الكفيلة لإسعادها ، والمناهج الرامية إلى جعلها تتفوق على غيرها من الشعوب . ولكن دونما حاجة إلى إدخال تعديلات عليها ، سواء بالزيادة أو بالنقص لتحقيق هذا الغرض ، وذلك لأنها نزلت كاملة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

---

(١) الروم : ٧ .

عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »[1] .

وبمقياس تسابق الأمم : كان تقديم نماذج الريادة فى الخير ، وإنقاذ الشعوب من ضلال عبادة العباد إلى الهداية بعبادة رب العباد .

وكلما تمسك أتباع الدين الإسلامى بمبادئه ، وانتصروا لها ، وأقنعوا الغير بها : أمكن بل أوشكوا فى تحقيق التوازن العالمى ، والرخاء المنشود ، والعدالة المأمولة ، والسلام لسكان المعمورة ، وإقرار قيم الحق والخير ، واحترام الفضيلة وحقوق الآخرين ، بل سارت الشعوب فى طريق البناء ، وتوسيع دائرة أمنها ، وعمت طهارة أخلاق أفرادها ، وشاع الصلاح بين ربوعها ، وتقدمت إنسانيا وحضاريا ، وأحرزت التفوق المادى كذلك ، وسخرته لطاعة الله تعالى وصالح البشرية .

ومن أجل ذلك قدم الإسلام حلوله الكثيرة لتحقيق هذا الغرض ، لتتحول بفضل : إيمان أتباعه بها ، وتطبيقهم لها إلى واقع ملموس ، وإنقاذ أكيد للبشرية من أزماتها ، ودفع لها لتتبوأ مكانتها اللائقة بها فى مجال الصدارة العالمية .

ومن هذه الحلول والأدوات - وهى كثيرة - الاستقامة التى نبتهل طلبا من الله تعالى بالإنعام بها علينا ، حينما نقول « اهدنا الصراط المستقيم » .

---

(١) المائدة : ٣ .

وهذا البحث يقدم الاستقامة كحل من حلول أزمات الأمة ، وأداة من أدوات النهوض بها .

والله أسأل أن ينفع به ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

د . عبد الحى الفرماوى

الفصل الأول

ملامح الاستقامة

(١) الإيمان .

(٢) الاتباع .

(٣) الاعتصام .

(٤) عدم الطغيان .

(٥) عدم الركون إلى الذين ظلموا .

(١) الإيمان

وهو فى اللغة : التصديق[١] .

والإيمان كذلك : ضد الكفر .

ويستعمل فى هذه الحالة : اسما للشريعة التى جاء بها محمد ﷺ .

ويوصف به : كل من دخل فى شريعته ، مقرا : بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا .

ويراد به : إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح[٢] .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب « مادة أمن » .

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات « كتاب الألف » .

والمؤمنون كما يصورهم القرآن الكريم : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[1] .

وفى آية البر ــ وغيرها ــ بسورة البقرة بيان للإيمان ، وكذلك لأمور هى من الإيمان ، إذ يقول تعالى ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب**

---

(١) المؤمنون : ٢ ــ ١١ .

وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[1] .

وقد جعل رسول الله ﷺ أصل الإيمان فى ستة أشياء ، والتى يوضحها حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب[2] ، وهى :

١ ـــ الإيمان بالله تعالى .

٢ ـــ الإيمان بملائكته .

٣ ـــ الإيمان بكتبه .

٤ ـــ االإيمان برسله .

٥ ـــ الإيمان باليوم الآخر .

٦ ـــ الإيمان بالقضاء والقدر .

وإذا كانت الآية السابقة ـــ وغيرها ـــ مع هذا

---

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٢) انظر الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان الإيمان والإسلام .. إلخ .

الحديث قد تكفلت ببيان أصل الإيمان على هذا النحو ، فقد تضافرت آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، وأحاديث كثيرة كذلك فى تقديم العديد من صور الإيمان ــ التى لا يتسع المقام لذكرها ــ ، والتى تكفل مجتمعة لهذه الصفة ــ وهى الإيمان ــ السعة والشمول ، واستيعاب كل الوجوه التى من شأنها أن تجعل من يتحلى بهذه الصفة ، ويمتلك هذا الركن ــ من أركان الاستقامة ــ مؤهلا ، بل صالحا لبلوغ أعلى درجات التقدم ، ونوال أغلى شروط النهضة ، التى تكفل له : النجاح فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة[1] .

والإيمان على هذا النحو هو الأساس الأول ، والوصف الواجب توافره ، فيمن يحاول أن يلج باب الاستقامة ، ليُخرج الأمة من أزماتها ، وينهض بها فى أداء دورها الريادى ، وليتحقق له أن يقول صادقا ﴿ **إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما** ﴾[2] .

---

(١) انظر : زاد الدعاة ٣ / ٥٣٨ وما بعدها (بتصرف واختصار يسير) .
(٢) الأنعام : ١٦١ .

بل إن هذا الوصف هو لب العقيدة الإسلامية فبدونه تختل كل الموازين ، ولا تنفع جميع الأعمال مهما كانت صالحة ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ..** ﴾[1] .

والإيمان يعنى : الثقة بهذا الدين ، الثقة بالله ورسوله ، الثقة فى صلاحيته : عقيدة ونظاما لقيادة البشرية ، وإخراجها من أزماتها ، وصولا بها إلى بر الأمان ، الثقة فى أحقية هذه الأمة ــ بالتزامها بهذا الدين ــ فى التقدم على سائر الأمم ، الثقة فى ارتقائها ــ بفضله ــ سنام النهضة ، ثقة الطمأنينة ، لا ثقة الغرور ، ثقة التوكل على الله ، لا ثقة تواكل الضعفاء .

بهذه الثقة : يفيق المسلمون من نومهم ، وينهضون من كبوتهم ، ويخرجون من أزماتهم .

---

(١) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

بهذا الإيمان ، وبهذه الثقة ـــ مع ما يأتى من ملامح الاستقامة ـــ ينزاح كابوس تفوق الغير على الأمة الإسلامية ، ويسقط حمل الإحباط من فوق كواهل أفرادها .

بهذا الإيمان : يتحول قوله تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[1] من قول يرددونه إلى عمل يحولون به وجه الحياة إلى التى هى أقوم ، فى كل أمور الحياة والأحياء .

بهذا الإيمان : يتحول قوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** ﴾[2] من كلام لا يجاوزون إجادة نطق ألفاظه ، ومعرفة أحكام تلاوته ، إلى هدف سام يسعون من أجل تحقيقه ، ويتعلمون ويمتلكون كل ما يمكنهم من تحقيق هذا التكليف الإلهى الذى خصهم المولى به ، وشرفهم

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

بقلادته ، وبالتالى صدق الاتصاف بالاستقامة التى تكسبهم الفلاح فى الدنيا ، وتؤدى بهم إلى النجاة فى الآخرة .

بهذا الإيمان : تتحقق القوة المطلوبة منهم فى قوله تعالى ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..** ﴾[١] .

بهذا الإيمان : يتم لهم الاعتصام بحبل الله المتين ، ونوره المبين ، فى وحدة تجمع الصف ، وتؤلف القلوب ، وتوحد الهدف .

بهذا الإيمان الواثق : لا يكون للخوف ، أو الشك ، أو السلبية ، أو الدونية ، مدخل فى قلوبهم أو عقولهم .

بهذه الثقة : ينتقلون إلى التحلى بالملامح الباقية للاستقامة ، أملا فى حسن تحقيقها ، وتوصلا إلى نيل نتائجها[٢] .

---

(١) الأنفال : ٦٠ .

(٢) انظر : زاد الدعاة ٣ / ٥٥٢ وما بعدها .

وصدق الله العظيم ، الذى بشر المؤمنين الواثقين بهدايته لهم إلى الطريق المستقيم فى قوله تعالى ﴿ **وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** ﴾[1] .

(١) الحج : ٥٤ .

(٢) الاتباع

والأتباع ركن أساسى وشرط ضرورى لاتصاف الإنسان فردا كان أو جماعة بالاستقامة .

ويجب اليقين بأن هذا الاتباع من الطرق الجيدة الموصلة لنتائج الاستقامة وآثارها . قال تعالى **﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾**(١) ، أى أن الرسول ﷺ بتعاليمه وما يوحى إليه يهدى إلى الطريق القويم والصراط المستقيم .

ومن هنا قال تعالى **﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾**(٢) .

---

(١) الشورى : ٥٢ .

(٢) الحشر : ٧ .

ولن يأخذ الإنسان عن الرسول ﷺ ما أمر به ، ولن يجتنب ما نهاه عنه ، إلا إذا توافرت لديه الثقة فيه والقناعة بما أتى به ، وامتلأ قلبه بحبه وحب ما أتى به ، ففى الحديث « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه التى بين جنبيه »(١) .

وثقة الإنسان فردا كان أو جماعة فى رسول الله ﷺ ، وقناعته بما أتى به وحبه له : يدفعه ـــ كل ذلك ـــ إلى البحث عن تعاليمه ، والمسارعة فى تحقيقها : أمرا أو نهيا .

ولأن الرسول ﷺ ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾(٢) بل كل ما يصدر عنه ﴿ **وحى يوحى** ﴾(٣)، فلن يكون فى تعاليمه إلا ما يحقق السعادة والتفوق والتقدم لمن تمسك بها ، وعمل على الالتزام بما جاء فيها ، وعدم الانحراف عنها أو الخروج عليها .

---

(١) رواه الإمام أحمد .
(٢) النجم : ٣ .
(٣) النجم : ٤ .

ولذا .. كانت سنة النبى ﷺ المصدر الثانى ــ بعد القرآن الكريم ــ للتشريع ، فهى : المفصلة لمجمله ، والمخصصة لعمومه ، والمقيدة لمطلقه ، والشارحة لمبهمه .. إلخ .. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾[1] .

ومن هنا : فوجوب اتباعه ﷺ يقتضى :

أ ــ للأفراد : العلم بسنته ﷺ : متنا ورجالا وكتبا ، كل على قدر طاقته ، أو بما يكفيه لتصحيح عقيدته ، وتمكينه من الاتصاف والتحلى بالاتباع فى العقيدة ونظام الحياة .

ب ــ وللجماعات : الاهتمام والعناية الفائقة بهذه السنة كذلك : متنا ورجالا وكتبا ، على قدر ما يعين الأمة على فهم دينها بيسر وسهولة وما يحقق لها وفيها ومنها صفة الاتباع فى عقيدتها ، وفى نظمها الحياتية ، التى تهيىء لها أسباب التفوق والتقدم والسيادة ، إذ يقول

---

(١) النحل : ٤٤ .

لحبيبه ﷺ — وصدق الله العظيم — : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾[1] .

---

(١) الشورى : ٥٢ .

(٣) الاعتصام

أى الاستمساك بدين الله ، وطاعته ، بعد الإيمان به ، والثقة فيه ، واتباع نبيه ، والاهتداء بتعاليمه .

ومن مقتضى هذا الاعتصام : عدم التفريط فى أى جزء من أجزاء هذا الدين ، أو التهاون فى تطبيقه ، وقد نبه الله تعالى نبيه ﷺ إلى ذلك حينما قال له ﴿ **واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾[1] .

ومن مقتضى هذا الاعتصام : عدم الإنكار لأى جزء من أجزاء هذا الدين ، أو الاستهزاء به ، أو الادعاء بعدم صلاحيته لهذا الزمان أو ذلك . وقد عاب الله على بنى إسرائيل عدم إيمانهم ببعض أحكام الدين إذ قال

(١) المائدة : ٤٩ .

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾[1] .

ومن مقتضى هذا الاعتصام : أن تتحول الأوامر الإلـٰهية والمطالب الربانية بموجبه فى مجتمع المسلمين : أفرادا وجماعات إلى واقع مشاهد ملموس ، يجلب الخير لهم ، ويدفع الشر عنهم . فمثلا :

يصبح قوله تعالى **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾**[2] واقعا حيا ، وصفة بارزة ، فى الوجود الإسلامى ، على شكل دولة إسلامية قوية تملك من وسائل القوة ، وعوامل البقاء ، ومؤهلات النجاح ، ما يعينها ويساعدها على أن تعالج أوضاعها المتردية وتخرج من أزماتها العاتية ، وتمسك بزمام القيادة العالمية المشار إليها فى قوله تعالى **﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا**

---

(١) البقرة : ٨٥ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

لتكونوا شهداء على الناس ﴾[١] حتى تستطيع أن تبشر بهذا الدين ، الذى يخرج الناس ـــ بالدخول فيه ـــ من الظلمات إلى النور ، وأن تحرر العالم بهذا الدين من عبادة الناس بدعوتهم لعبادة رب الناس .

ويصبح قوله تعالى ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾[٢] سمة بارزة لأفراد المجتمع المسلم وتكتلاته ، تؤكد فيهم غيرتهم على حمى هذا الدين وحبهم للدفاع عنه ، فلا يطمع فيهم طامع ، ولا يهجم على ديارهم غازٍ ، ولا يفكر فى إيذائهم حاقد ، ويرهب جانبهم كل معتد أثيم .

تكون هذه السمة مفتاحا يملكون به طاعة الله تعالى ، ويدخلون به جنته . كما تكون أداة فعالة فى تهيئة الجو العالمى لهم لحسن عبادة الله تعالى ، والتفوق فى نشر دينه فى العالمين .

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) الحج : ٨٧ .

ويصبح قوله تعالى ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[1] شغل المسلمين الشاغل وهمهم الأساسى عن طريق التقدم فى الإنتاج ، والتفوق فى الإبداع ، والتسابق فى الإخلاص ، للدرجة التى تجعلهم يتربعون صدارة العالم بسبقهم لشعوبه وأممه فى الابتكارات ، والاختراعات فى كل المجالات من زراعية وصناعية واقتصادية ، وتربوية ، وتعليمية ... إلخ ، حتى يحقق ذلك للمسلمين : الاعتماد على أنفسهم ، والاكتفاء عن غيرهم ، فى الغذاء ، والكساء ، والدواء ، والسلاح .. إلخ .. بل تصبح لديهم القدرة على سبق هذا الغير ، والتفوق عليه فيما أشرنا إليه وغيره . وساعتها : يتحقق الأمن لهم ، وينزاح كابوس الخوف عنهم ، بل يعمل العالم — فى هذه الحالة — لهم حسابا وألف حساب ، كل ذلك إذا ما امتلكوا القوة ، بل يصبح امتلاكهم لهذه القوة وحسن استغلالهم لها وإفادتهم بها ، مصدر رعب لأعدائهم ، ومنطقة دفاع عنهم ، وصدق

---

(1) الأنفال : ٦٠ .

الله تعالى إذ يقول ﴿ **ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾[1] أى بهذا الإعداد وبهذا الامتلاك وبهذا التفوق .

ومن مقتضى هذا الاعتصام : أن تختفى الموبقات والفواحش ومظاهر تدمير الإنسان لنفسه ولأخيه الإنسان بمجرد معرفة النواهى الإلهية عن هذا الشىء أو ذاك فمثلا :

يصبح قوله تعالى ﴿ **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق** ﴾[2] نهيا واجب الالتزام ، به تحقن الدماء ، وتصان الأرواح ، ولا يكون إزهاق الروح التى خلقها الله إلا بالأسلوب وللأسباب التى شرعها خالقها ، وبذلك يشعر الأفراد بالأمان ، وتنعم الجماعات بالسلام ، ويتجهون لابتكار وسائل المحافظة على البشرية ، وتمكين أفرادها من العمل على طاعة الله وإعمار كونه ، وإسعاد عباده .

---

(١) الأنفال : ٦٠ .　　　(٢) الأنعام : ١٥١ ، الإسراء : ٣٣ .

ويصبح قوله تعالى ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون** ﴾[1] بلسما لجراح الأمة ، وعلاجا لآلامها ، ومخرجا لها من الوهاد إذا وقعت ذات يوم — أو فرد منها — فى مثل ذلك . وأضحت الرغبة فى الوصول إلى الهدف وبلوغ أسمى درجات المعالى ديدنها لا يعوقها عن ذلك البلوغ هزيمة جزئية ، أو تخلف وقتى . وكذلك لا يفت فى عضدها حزن على حطام فان ، أو متاع زائل ، مادام هدفها الكبير باقيا لم يؤثر فيه شىء ، وهو : العمل على مرضاة الله تعالى ، ورفع راية هذا الدين ، ونشر مبادئه ، والتقدم بتعاليمه . ولا يصبح الإحساس بالدونية بسبب الإحساس بالمهانة ، والانغماس فى الحزن ، حائلا بينها وبين التفوق وإحراز قصب السبق فى المجال العالمى . وهذا هو الأمل المطلوب ، والهدف المرغوب ، الذى لا يتحقق إلا بالاستقامة ، التى يساعد الاعتصام بهذا الدين والتمسك بمبادئه عليها ، ويساهم فى تحديد ملامحها .

---

(١) آل عمران : ١٣٩ .

وأضرب مثلا من الواقع الناجم الآن عن عدم اعتصام هذه الأمة بحبل الله تعالى ودينه : فمع حفظنا لقوله تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[1] أسقطت الخلافة الإسلامية التى كانت تحقق بهذا الاعتصام لنا وفينا ومنا قوله تعالى ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ ، فى سنة ١٩٢٤ م بعد احتلال مساحات كبيرة من أرض المسلمين ، كما تم تمزيق هذا الجسد الواحد إلى أكثر من خمسين قطعة (أعنى دولة) متباينة المساحة وأعداد السكان ، بالإضافة إلى الأقليات المنتشرة فى كل دولة من الدول غير الإسلامية ، تفوق أعدادها عشرات الملايين فى بعض هذه الدول ، ويفوق أعداد المسلمين جميعا المليار نسمة . كما فقد العالم الإسلامى دولة « ألبانيا » وغالبيتها الساحقة من المسلمين ، وفقد المسلمون أجزاء كثيرة عزيزة على نفوسهم مثل فلسطين ، وولايتى : جافو وكشمير ، والجمهوريات الإسلامية التى ضمها الاتحاد السوفياتى ،

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .

والولايات الإسلامية فى كل من الصين والهند والفلبين . وقد أدى هذا التفتيت المتعمد إلى تشتيت المقومات المادية والروحية والطاقات البشرية للمسلمين ، كل هذا .. فى وقت أخذ العالم فيه الاتجاه إلى التوحد فى تكتلات اقتصادية وسياسية وعسكرية كبرى ، ولم تعد فيه إمكانية لوجود مستقل لأية تجمعات بشرية يقل تعدادها عن مائة إلى مائة وخمسين مليون نسمة[1] ، وصدق الله العظيم ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾[2] .

(١) انظر : قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) آل عمران : ١٠١ .

(٤) عدم الطغيان

والطغيان : هو مجاوزة الحد ، والخروج عن الاعتدال المطلوب .

وبعض النفوس البشرية تميل بفطرتها إلى الطغيان بسبب كثرة الأولاد عندها ، أو توافر المال لديها ، أو تربعها على سلطة ، أو امتلاكها لجاه ، أو حصولها على مركز .. إلى غير ذلك من الأمور التى تهيج فيها ميلها الفطرى إلى الطغيان والخروج بها عن حد الاعتدال المطلوب شكرا لهذه النعم ، واعترافا لله تعالى بفضله عليها ، يقول تعالى ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾[1] .

والطغيان قد يكون من الأفراد وقد يكون من

---

(١) العلق : ٦ ، ٧ .

الجماعات ، فقد يكون من فرد ضد فرد أو ضد جماعة أو ضد جماعات ، وقد يكون من جماعة ضد فرد أو ضد جماعة أو ضد جماعات .

والطغيان كذلك يكون بتغيير شرع الله تعالى ، أى بتحريم حلاله ، وحل حرامه ، وفى ذلك مجاوزة للحد المأمور به والمنهى عنه شرعا [١] .

وإذا وجد الطغيان فى بيئة ضاع الأمن من ربوعها ، وشاع الخوف فيها ، وأصبح العنف والعنف المضاد أسلوبها فى التفاهم ، وطريقها فى الحوار ، وتباطأت فيها عجلة الإنتاج ، وتوقفت عندها خطوات التفوق ، وانتكست من يدها رايات التقدم .

وكذلك إذا وجد الطغيان فى بيئة شاع فيها الاضطراب ، وكثر فيها الفساد ، وعم فيها الانحراف ، وانعدم الولاء بين أفرادها ، وضاع الشعور بالانتماء من أهلها ، وأطلت هواجس الهروب منها ، وبرزت نزعات

(١) انظر : تفسير الفخر الرازى ١٨ / ٧٣ سورة هود .

العبث فيها ، وصار الطريق مفتوحا لشيوع الاضطراب ، وعموم الانحراف ، والاكثار من الفساد ، وكل ذلك بسبب الطغيان الذى نزل بساحتها ، وحال بين أهل هذه البيئة أو تلك أو بين أهل هذا الزمان أو ذاك ، وبين السير على الطريق المستقيم الذى يضمن لهم النجاح ويحرز لهم التفوق ، والقرآن الكريم يحدثنا عن مثل ذلك حينما يقول عن طاغية من الطغاة ﴿ **وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد** ﴾[1] .

ولأن الطغيان ظلم : فالظلم يشعر بالإحباط ، ويحول دون الإصلاح ، ويمنع عن الإنتاج ، ويوجه إلى الإفساد ، ولذلك كان الصالحون يحذرون من الطغيان ويبغضون فى الظلم لدرايتهم بأخطاره ، فى مثل قولهم « إذا دعتك قدرتك إلى ظلم من هو دونك ، فاذكر قدرة الله تعالى على عقوبتك ، فأنْقَصُ الناس عقلا من ظلم من هو دونه »[2] .

ولحرص الإسلام على استقامة أتباعه ليصلوا إلى

(١) الفجر : ١٠ — ١٢ .

(٢) بهجة المجالس ١ / ٣٦٧ .

الفلاح فى دنياهم والنجاة فى أخراهم ، فقد حذر من الطغيان حينما قال تعالى ﴿ **ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى** ﴾[1] وحينما قال ﴿ **ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** ﴾[2] وحينما حذر بقوله ﴿ **وإن للطاغين لشر مآب** ﴾[3] وبقوله ﴿ **إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا** ﴾[4] . بل دعا المصلحين والدعاة إلى الذهاب للطغاة يذكرونهم بالله تعالى يخوفونهم من عذابه ويرغبونهم فى نعيمه ليعدلوا عن طغيانهم ويكفوا عن عنادهم وإيذاء غيرهم ، نرى ذلك واضحا فى أمر الله لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾[5] ، ومرة أخرى ومعه أخاه ﴿ **اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾[6] .

---

(١) طه : ٨١ .
(٢) هود : ١١٢ .
(٣) ص ٥٥ .
(٤) النبأ : ٢١ ، ٢٢ .
(٥) النازعات : ١٧ — ١٩ .
(٦) طه : ٤٣ ، ٤٤ .

ولأن الطغيان ظلم ، ولأن الظلم يشعر بالإحباط ، ويحول دون الإصلاح ، ويمنع عن الإنتاج ، ويوجه إلى الفساد ، فقد حذر الله تعالى من الظلم كذلك ، وذلك لحرص الإسلام على استقامة أتباعه ليصلوا إلى الفلاح فى دنياهم والنجاة فى أخراهم ، فقد ذكره بأسلوب المنفر منه ، والمبغض فيه ، والناهى عنه فى حوالى ثلاثمائة وعشرين مرة فى القرآن الكريم ، فقال تعالى ﴿ **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾[1] وقال ﴿ **ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا** ﴾[2] وقال ﴿ **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾[3] وقال ﴿ **وقد خاب من حمل ظلما** ﴾[4] وقال تعالى ﴿ **إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما**

---

(١) الطلاق : ١ .

(٢) الفرقان : ١٩ .

(٣) إبراهيم : ٤٢ .

(٤) طه : ١١١ .

السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾[1] ويقول ﴿ **وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾**[2] .

ويحذر النبى ﷺ من دعوة المظلوم فيقول لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن ــ فيما يرويه البخارى ــ : « اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب »[3] .

وفى صحف إبراهيم عليه السلام « اتق دعوة المظلوم ، فإنى لا أردها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »[4] .

هذا بعض مما يكشف لنا السر فى أن ينظم الله تعالى النهى عن الطغيان فى سلك واحد مع أمره لمحمد ﷺ

---

(١) الشورى : ٤٠ ــ ٤٢ .

(٢) الشورى : ٤٤ .

(٣) رواه البخارى ، كتاب : المظالم ، باب الاتقاء من دعوة المظلوم .

(٤) بهجة المجالس ١ / ٣٦١ .

ومن تاب معه بالاستقامة فى قوله تعالى ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** ﴾[1] .

---

(١) هود : ١١٢ .

(٥) عدم الركون إلى الذين ظلموا

آفة الأفراد التقليد ، وآفة الشعوب التبعية ،ولقد عاب القرآن على المقلدين قولهم ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾[١] ، وكذلك ﴿ **حاق بآل فرعون سوء العذاب** ﴾[٢] لما ألغوا عقولهم وتبعوا طاغوتهم حينما قال لهم ﴿ **ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾[٣] استخفافا بهم وإضلالا لهم .. ومع ذلك ما فكروا ، وما أعملوا عقولهم ، بل أطاعوه[٤] ، ولذلك حاق بهم — كما يخبرنا القرآن الكريم — سوء العذاب .

---

(١) الزخرف : ٢٣ .

(٢) غافر : ٤٥ .

(٣) غافر : ٢٩ .

(٤) الزخرف : ٥٤ من الآية ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ .

وهكذا كل فرد يلجأ إلى التقليد الأعمى ، وكل شعب يركن إلى التبعية العاجزة : لابد أن تكون نهاية كل منهما نهاية سيئة ، تبعده عن الطريق المستقيم ، وتحول بينه وبين طريق التفوق ونوال التقدم . وذلك لأن التقليد ركون إلى الغير ، وإلغاء لنعمة العقل التى أنعم الله بها على الإنسان ، وكذلك فالتبعية ركون إلى الغير ، وإلغاء لطاقة الإبداع ، وزيادة الإنتاج ، وحرمان من نعمة التفوق .

وأصبح الركون إلى الغير ، والتسليم له ، والاعتماد عليه ، وإهدار نعمة التفكير ، والعجز عن الإبداع والإنتاج طريقا إلى الفقر الفكرى والمادى ، ومن ثم دركا إلى التخلف والدونية . وذلك يتنافى مع ما يطلبه الإسلام من أتباعه ومعتنقيه ، الذين سيحملون ـــ إلى العالمين ـــ أعظم أمانة وأشرف رسالة ، مما يقتضى منهم أن يكونوا على قدر يتناسب وعظمة هذه الرسالة ، وعلو قدرها ، ورفعة شأنها ، بأن يكونوا أصحاب التفوق والتقدم فى كل مجال من مجالات الكون والحياة تحقيقا للأمر الإلهى

﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[1] فى كل المجالات والمعارف والفنون والعصور والبيئات ، فإن العالم لا يأخذ المبادىء إلا من القوى المتفوق العالم ، الذى ينشر مبادئه ، ويقنع الآخرين بها ، ويجذبهم بسلوكه وتفوقه إلى الأخذ بها ، والدخول تحت لوائها .

ومن هنا كان تركيز الإسلام على عدم التقليد ، وكان نهيه الشديد ، وتحذيره الواضح ، وتخويفه البارز ، لأتباعه بعدم الركون إلى الذين ظلموا ، وتسليم الزمام لهم ، وترك مقاليد القيادة فى أيديهم ، حينما يقول فى معرض أمره لهم بالاستقامة : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾[2] .

ولو حاولنا فهم علة هذا النهى الإلهى بقراءة شىء من واقع الأمة الإسلامية اليوم وتبعيتها للذين ظلموا

---

(١) الأنفال : ٦٠ .

(٢) هود : ١١٣ .

وإرتمائها في أحضان مبادئهم وأفكارهم وقوانينهم ، وحياتها على استهلاك منتجاتهم في الغذاء والكساء والدواء ، لأظهرت لنا هذه القراءة ، أن النيران قد مستنا فعلا ، بل أحاطت بنا من كل جانب نيران الفقر ، والجهل ، والمرض ، والتخلف ، وآثار البعد عن الطريق المستقيم .

ولقد نجح الغرب لعصر ما بعد الاستعمار في جعل البلاد العربية والإسلامية تابعة له ، وعلى الرغم من الجهود المبذولة كلها ، والمؤتمرات التي تعقد ، والإجهاد الإعلامي ، لم يزد حجم التبادل التجاري — مثلا — بين الدول الإسلامية عن ١٨ مليار دولارا أي بنسبة ١٠ ٪ من إجمالي تجارتها البالغ ٨٢ مليار دولارا ، بينما يزيد الرقم بين الدول الإسلامية والغرب الصناعي عن ١١٣,٥ مليارا من الدولارات .

كما نجح الغرب — بسبب العجز والتبعية والركون إليه — في جعل العالم الإسلامي في خانة المقترضين ، وتكبيله بالديون والفوائد .. لقد تضاعفت الديون في

السنوات الأربع الأخيرة ، وتضاعفت مديونية بعض البلاد العربية لتصل إلى ٦ مرات ، على الرغم من شعارات التنمية واستيراد الخبراء والخطط التنموية ، ويكفى أن نقول إن بعض الدول العربية تحاول جدولة ديونها مع أكثر من ١٦ دولة دائنة ، وفوائد هذه الديون ٧ ٪ بينما تصل فوائد بعض الديون العسكرية إلى ١٤ ٪ .

ولذلك نرى أن شروط صندوق النقد الدولى ، ومن ورائه الدول الصناعية اليوم تتحكم بما عجزت عنه المؤسسات السياسية ، ففى سنة ١٩٧٨ م كانت ديون العالم الإسلامى ٨٢ مليار دولارا ، ارتفعت إلى ١٤٤ مليار دولارا بعد خمس سنوات . وفى سنة ١٩٨٦ م بلغت ديون العالم الإسلامى ٢٣٠ مليار دولارا ، ويدفع عن هذه الديون فوائد سنوية تقدر بـ ١٠ مليارات من الدولار (١) .

---

(١) الأهرام عدد ٢٧ أكتوبر ١٩٨٧ م .

هذه ــ عينة للتبعية ونتيجة الركون إلى الغير ــ من واقع التنمية الاقتصادية فقط فى العالم الإسلامى ، وهى تسير فى طريق مسدود[1] ، كغيرها من وجوه التنمية المعتمدة على الغير .

---

(١) انظر : التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى ص ١٥ وما بعدها باختصار يسير .

الفصل الثانى

« المطالبون بالاستقامة »

تقديم .

(١) كل الناس .

(٢) النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) العلماء .

(٤) الحكام .

تقديم

هذه الملامح التى ذكرناها تظل نظرية ، عارية عن الحركة ، بعيدة عن موقع التغيير ، ضعيفة عن القدرة على التأثير ، مالم تتحول إلى عقيدة ملموسة ، وإلى صفات محسوسة ، وإلى واقع مطبق ، يحمله أناس ، ينفذونه ، ويعالنون به ، ويدعون له ، ويبشرون به ، ويدافعون عنه .

والأمل أن يتحقق ذلك فى كل الناس ، ﴿ **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة** ﴾[1] على فكر واحد وعقيدة واحدة وسلوك واحد ، ولكنه شاء غير ذلك ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾[2] فمنهم المطيع ومنهم العاصى ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة** ﴾[3] .

---

(١) الشورى : ٨ .
(٢) هود : ١١٨ ، ١١٩ .
(٣) الأنفال : ٤٢ .

وحتى تكون فرص الخير لهم أوضح ، وسلوكهم لها أقرب ؛ شدد فى طلب بروزهذه الملامح وتحقق هذه الصفات للاستقامة فى أفراد بعينهم ، مواقعهم فى التأثير آكد ، وفى القدوة أظهر ، تسهيلا للناس بتحقق الاستقامة فيهم — أن يروها رؤيا عين ، فتسقط حجتهم فى عدم استقامتهم لصعوبة التطبيق ، وانعدامها فى أعيان القدوة والتأثير : فكان النبى ﷺ ، وكان العلماء ، وكان الحكام ، على النحو التالى :

(١) كل الناس

إن الاستقامة مطلوبة من كل الناس ، لا يستثنى من هذا الأمر أحد ، وإلا كان الانحراف مباحا ، والخطيئة لا عقاب على ارتكابها ، وعد الإيمان رجعية ، وأصبح الاتباع للنبى ﷺ عجزا ، وصار الاعتصام بدين الله والتوحد حوله تعصبا ، والطغيان شريعة ، والركون إلى الغير والخضوع له طريق الحياة .. وبالتالى كانت الرسالات السماوية عبثا ، والوحى أكذوبة ، والحياة لا هدف منها ولا غاية لها ، والإيمان بالبعث وما يستتبعه من جزاء وما يستلزمه من عمل وإعداد لا داعى له ، وغدا منطق الذين ﴿ **أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت** ﴾[1] هو الشعار السائد لسكان الحياة .

ولأن الأمر ليس على هذا النحو أبدا عند من لديه

---

(١) النحل : ٣٨ .

أدنى إدراك !، ولأن الله الذى ﴿ **يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[1] لا يحب لعباده هذه النتيجة الحتمية للاستثناء فى هذا الأمر الخطير ! ، ولأن الاستقامة مأمونة العواقب ، مأمونة النتائج ، إذ هى فلاح فى الدنيا ونجاة فى الآخرة ! ، كان الأمر الإلهى بها للجميع فى قوله تعالى ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه** ﴾[2] أى آمنوا بالله ، واتبعوا تعاليم رسوله ، واعتصموا بدينه ، ولا تطغوا على عباده ، ولا تميلوا وتركنوا إلى الذين ظلموا منهم ... وكذلك ﴿ **استغفروه** ﴾ مما كنتم عليه ـــ وهو مخالف لذلك ـــ من سوء العقيدة ، وفساد العمل[3] .

ولأن أمر الاستقامة جد خطير ، ولن يتحقق لهذه الأمة هدفها ، ولن تؤدى رسالتها ، وتبلغ فى ذلك مرادها إلا إذا استقامت فقد شدد الشارع على طوائف

---

(١) الملك : ١٤ .

(٢) فصلت : ٦ .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : سورة فصلت .

من الأمة بعينها لخطورة عدم استقامتها ، وصدور الانحراف منها ، وشيوعه عنها ، ومن هؤلاء ما يلى :

(٢) النبى صلى الله عليه وسلم

وذلك لأنه الناقل للرسالة والمبلغ للأمانة . وإذا كانوا يقولون « فاقد الشيء لا يعطيه » فى الأمور العادية ؛ فما بالنا لو كان النبى ﷺ ــ وحاشاه ــ غير مستقيم .. !! .

ومن هنا ركز المولى سبحانه وتعالى ــ تثبيتا لنا ، وتطمينا لقلوبنا ، وتذكيرا لنبينا ﷺ ــ على أمر نبيه وحبيبه بالاستقامة ، فى الوقت الذى يقول فيه لسان الحال :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

فيقول له المولى فى الكتاب العزيز : ﴿ **واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من**

كتاب ﴾[1] ، ويقول له كذلك : ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** ﴾[2] .

ولذلك يقول الخطيب الشربينى فى تفسيره إن الأمر ــ فى هذه الآيات ــ للتأكيد ، فإنه ﷺ كان على الاستقامة لم يزل عليها ، فهو كقولك للقائم : قم حتى آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك[3] .

ونرى أن هذا الأمر للنبى ﷺ كان فى دحض كل الشبهات التى حاول أعداء الإسلام حياكتها حول ساحته الشريفة ﷺ ، بالقدر الذى يريحنا من الانسياق وراء شباكهم التى ينصبونها لندافع من داخلها عنه ﷺ ، فنستطيع وقد يأتى العجز منا فلا نستطيع فيتحقق لهم بعض ما يريدون والأمر فى حقيقته على خلاف ذلك .

كما أن الأمر للنبى ﷺ بذلك ــ من جهة أخرى

---

(١) الشورى : ١٥ .

(٢) هود : ١١٢ .

(٣) السراج المنير ٢ / ٨٢ .

يساعدنا على تحقيق الاستقامة المطلوبة منا ؛ إذ نحن نلتزم بها امتثالا للأمر العام السابق ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ من ناحية ، ومن ناحية أخرى نلتزم بها تأسيا بسيد المستقيمين محمد ﷺ ، وفى ذلك ما فيه من المعاونة على سرعة ودوام الاستجابة .

(٣) العلماء

ولأن « العلماء ورثة الأنبياء »[١] ، فينبغى أن يكونوا على منوالهم فى الاستقامة ، وحمل الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، بأقوالهم وأفعالهم ؛ لأن العالم الذى يستحق هذا الوصف هو من عمل بعلمه ؛ ولذا : ورد فى بعض طرق هذا الحديث « يحبهم أهل السماء ، وتستغفر لهم الحيتان فى البحر إذا ماتوا »[٢] ، لأن العمل بعلمهم أصبح من شيمهم ، كما أنهم دربوا أنفسهم على أن تأتمر بما يأمرون

---

(١) رواه أحمد والترمذى .

(٢) انظر : المقاصد الحسنة ص ٢٨٦ .

به غيرهم ، وما كانوا مثل مَنْ قال الله فيهم ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا** ﴾[1] .

وانحراف العلماء ، وعدم عملهم بعلمهم خطر كبير ، عليهم وعلى غيرهم ، فقد روى عبد الله بن وهب عن سفيان ، أن الخضر على نبينا وعليه السلام ، قال لموسى عليه السلام « يابن عمران ، تعلم العلم لتعمل به ، ولا تتعلمه لتحدث به ؛ فيكون عليك بوره[2] ، ولغيرك نوره »[3] . كما أن سلوكهم هذا يدفع غيرهم على احتقار العلم وأهله ، والانصراف عن ساحته ، يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه « إنما زهد الناس فى طلب العلم ، لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم »[4] .

واستقامة العالم تنتج الإفادة من علمه ، والانتفاع

---

(١) الجمعة : ٥ .

(٢) أى : إثمه ووزره .

(٣) ، (٤) أدب الدنيا والدين ص ٨٥ .

بعمله بما يعود على الأمة وأفرادها بالخير ، ويجلب لها السبق ، ويهيىء لها سبل التفوق ، ويحرز لها الغلبة على أعدائها بما يعينها على أداء رسالتها ، ونشر مبادئها .

وانحراف العالم قد يؤدى للدمار والهلاك ، وقد يعوق المسيرة ، ويوقف الركب ، ويسوق للتأخر والضعف ، ويبعد عن الوصول للهدف .

وكل العلماء ــ على اتساع ساحة العلم ــ مطالبون بالاستقامة ، وأولى العلماء بالاستقامة : علماء الدين لأنهم مصابيح الهدى ، ومشاعل النور ، استقامتهم ضرورية ، وانحرافهم خطير :

علماء الدين يا ملح البلد
من يصلح الملح إذا الملح فسد

ولذلك شدد الإسلام على استقامة هؤلاء ، وحذر من انحرافهم ــ ذات اليمين أو ذات الشمال ــ عن جادة الطريق ، حينما قال فى القرآن الكريم ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم**

عن سبيله ﴾[1] ، وأولى الناس باتباع هذا الأمر هم العلماء . وفى السنة الشريفة : أخرج البخارى عن حذيفة « يا معشر القراء : استقيموا ، فقد سبقتم سبقا بعيدا ، فإن أخذتم يمينا وشمالا ، لقد ضللتم ضلالا بعيدا »[2] .

(٤) الحكام

يقولون : الناس على دين ملوكهم ، أى أن الناس على منوال حاكمهم ونسقه ، فإن استقام استقاموا ، وإن انحرف ساء فعلهم ، وفسد زمانهم ، واسودت أيامهم .

نعم .. باستقامة الحكام يكونون قدوة طيبة لأفراد شعوبهم .. باستقامة الحكام يطمئن الناس على حقوقهم ويؤدون بسعادة واجباتهم ، فتتقدم عجلة الإنتاج ، ويزدهر الاقتصاد ، ويعم الرخاء ، ويشيع الأمن والأمان .. باستقامة الحكام يثق الجميع فى عدم انتهاك

(١) الأنعام : ١٥٣ .
(٢) البخارى ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

حرماته ، ويأمن على نفسه ، من بطش يناله ، أو عدو يغتاله ، فيزداد انتماؤه ، ويظهر إبداعه ، ويكثر إنتاجه ، وينعم بحياته .. باستقامة الحكام تطبق الشريعة ، وتسود العدالة ، وتتوارى الرذائل ، وتقل الجرائم ، وتموت المحسوبية ... ولذلك يلزم :

أ ــ دعوتهم للخير بالحسنى والرفق ، أملا فى استمرارهم على ما هم فيه من حسن ، أو كفّهم عما هم فيه من غيّ ، ودفعهم إلى الاستقامة . ولنا فى موقف سيدنا موسى عليه السلام أسوة حسنة حينما قال له ربه **﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾**[1] .

ب ــ مواجهتهم بالحق ، حتى يعودوا إليه ، ويلتزموا به ، ولا يفتن الناس بأقوالهم أو أفعالهم الباطلة ، وكذلك حتى لا يحرم المحكومون من عدلهم ، ويضاروا بظلمهم ، ومخافة أن يشيع الفساد بسبب انحرافهم ..

---

(١) طه : ٤٣ ، ٤٤ .

ولذلك كانت كلمة الحق فى مواجهتهم ، من صور الجهاد العالية القدر ، الرفيعة المنزلة ، ففى حديث النبى ﷺ « أفضل الجهاد كلمة عدل — وفى رواية حق — عند سلطان جائر »[1] .

جـ — عدم سبهم أو الدعاء عليهم ، بل الدعاء لهم ، ففى الدعاء عليهم : مظنة عنادهم وازدياد فجورهم ، واستعداء — فى نفس الوقت — بهم ، ومخالفة للقرآن الكريم فى نهيه عن ذلك حينما يقول فيما هو أشد من ذلك ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله** ﴾[2] ، وقد أخرج الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى أمامة مرفوعا « لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم لكم صلاح »[3] ، وفى الدعاء لهم فتح باب الرجاء فى صلاحهم واستقامتهم ، وتحريك لجوانب الخير فيهم ، وكوامن الفطرة بداخلهم ،

---

(١) رواه ابن ماجة : كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
(٢) الأنعام : ١٠٨ .
(٣) المقاصد ٤٤٨ .

ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة حينما جاءه الطفيل ابن عمرو فقال : « إن دوسا هلكت ، عصت وأبت ، فادع الله عليهم ، فقال : اللهم اهد دوسا وائت بهم »[1] ، وروى عن الفضيل بن عياض أنه قال ما معناه « لو كانت لى دعوة صالحة لرأيت السلطان أحق بها ،فبصلاحه صلاح الرعية ، وبفساده فسادهم »[2] .

وما كل ذلك إلا لحرص الإسلام على استقامتهم ، والعمل على فتح بابها أمامهم ، حرصا على نوال الخير لرعاياهم ومجتمعاتهم من وراء استقامتهم وعدم انحرافهم ، ورغبة فى رفع راية هذا الدين على أيديهم ، ونشر مبادئه بمساندتهم ، يوضح ذلك ويؤكده ما رواه البخارى عن قيس بن أبى حازم قال : « قالت امرأة لأبى بكر : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين ، قالت : أى المهاجرين ؟ قال : من قريش ، قالت : من أى قريش

---

(١) رواه البخارى : كتاب المغازى ، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسى .

(٢) انظر : المقاصد الحسنة ص ٤٤١ .

أنت ؟ قال : إنك لسئول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت عليه أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومك رءوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس »[١] .

---

(١) رواه البخارى : كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية .

الفصل الثالث

نتائج الاستقامة

تقديم .

أ ـ فلاح فى الدنيا .

ب ـ نجاة فى الآخرة .

تقديم

إن ملامح الاستقامة السابق ذكرها فى الفصل الأول يوم أن تتحول إلى واقع يحرك أفراد الحكام ، ويوجه قوانينهم ، ويهيمن على سياساتهم ، ويؤثر فى ممارساتهم ، ويراقب تصرفاتهم ؛ يبعدهم عن الضلال ، ويرشدهم إلى الهدى .. يوم أن تتحول إلى واقع يحرك أفراد العلماء ، يجعلهم على الحال الذى قال عنه أبو الدرداء « أخوف ما أخاف ، إذا وقفت بين يدى الله ، أن يقول : قد علمت فماذا عملت ؟ »[1] .. يوم أن تتحول إلى واقع يحرك الغالبية الغالبة من أفراد هذه الأمة ، التى بلغ تعدادها أكثر من ألف مليون نسمة ، يجعلهم يعيشون بعقيدة يؤمنون بها ، ويدافعون عنها ، ويرفعون رايتها ، وينشرون مبادئها .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٨٥ .

يجعلهم يتبعون سنة النبى ﷺ ، وتبيانه لنظام حياتهم ، وتعاليمه لعمارة كونهم .

يجعلهم يعتصمون بهذا الدين ، ولا يختلفون حوله ، ولا يستبدلون به مبادىء البشر من أمثالهم ، حتى ولو كانت من صناعتهم هم ، وكذلك : لا يتهاونون فى الالتزام بما يفرض عليهم من أحكام ، وفى الابتعاد عما يحرمه عليهم من ذلك .

يجعلهم يبتعدون عن الطغيان ، ويتجنبون بريقه إذا ما توفرت لهم أسبابه ، وتحرشت بهم دوافعه ، طاعة لله ، واحتراما لحقوق الآخرين ، وابتعادا منهم عن الظلم وأوزاره ، ومساعدة منهم فى بسط لواء العدل ، تمكينا للأمن فى النفوس ، وتهيئة للتفوق فى إتقان العمل .

يجعلهم : علماء ، أقوياء ، أغنياء ، مؤمنين بعقيدتهم ، يراقبون الله فى أعمالهم ، مطمئنين إلى عدالة وصلاحية شريعتهم وقوانينهم ، مطبقين لها فى مجتمعاتهم ، ملتزمين بها فى ذواتهم ، ناجحين فى إنتاج حاجياتهم ،

واختراع وصناعة مستلزماتهم ، لا يحتاجون إلى غيرهم ، ولا يعتمدون — بعد الله — إلا على أنفسهم فى الغذاء ، والكساء ، والدواء ، والسلاح .

أقول : يوم أن تتحول ملامح الاستقامة إلى ما ذكرنا فى أفراد الحكام وفى أفراد العلماء وفى أفراد الشعوب بعد أن تحققت سلفا فى رسول الله ﷺ ؛ سنرى نتائج ذلك فى الدنيا والآخرة على النحو التالى :

أ - فلاح فى الدنيا

إن كل نظام يوجه حياة جماعة من الناس ، أياً ما كانت هذه الجماعة ، يهدف بالضرورة إلى إسعادها ، والمساعدة على جعل أفرادها يحيون فى أمن ورخاء ، سواء أكان هذا النظام من وضع البشر أو من وحى خالقهم سبحانه وتعالى .

وينجح كل نظام فى تحقيق الهدف بالقدر المناسب لإيمان أصحابه به ، وتطبيقهم له ؛ إذ أنهم يعملون فى ظله عن عقيدة تدفعهم ، وإيمان يحركهم ، وهذا هو الذى يفسر تفوق بعض أصحاب الأديان الفاسدة والمذاهب الباطلة فى بعض جوانب الحياة ، وتمسكهم بها ، وتعديلهم لها كلما ظهرت فيها مع تطبيقاتها الثغرات .

والنظام الإسلامى يهدف كذلك إلى إسعاد الأمة

الإسلامية ، والمساعدة على جعل أفرادها يحيون فى أمن ورخاء . وبقدر إيمان أصحابه به ، وتطبيقهم له ، والتزامهم بتعاليمه ، وتحركهم فى إطارها ، يكون تفوقهم فى جوانب الحياة ـــ أو عدم ذلك ـــ بالقدر الذى يحقق لهم السعادة ، ويوفر لهم الأمن والرخاء .

وإن الواقع ليشهد أن الأنظمة العديدة التى وضعها البشر ـــ أوحرفها ـــ ما كتب لها البقاء والنجاح ، بالقدر الذى دعى لتعديلها وتجديد شبابها ، أو استبدال غيرها بها ، حتى أصبحت فى طىّ النسيان وعالم الغيب والإهمال . كما يشهد أن هذه الأنظمة التى وضعها البشر ـــ أو حرفها ـــ ما حققت السعادة لأتباعها ، وما وفرت لهم الأمن والرخاء ، بالقدر الذى حرمت فيه البشرية كلها من السعادة ، وأشاعت بين أفرادها الرعب والفزع بسبب أدوات الدمار ، ومنتجات الفساد ، التى باركت إنتاجها ، وساعدت فى نشرها . فى الوقت الذى يؤكد فيه هذا الواقع أن النظام الإسلامى ـــ الذى ما دخله العطب ،وما لحقه التعديل ، أو التغيير ـــ كتب له

البقاء ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] كما كتب له النجاح فى تحقيق السعادة لأتباعه ، وفى توفير الأمن لهم والرخاء لبلادهم ، وذلك كلما توفر له من يؤمنون به ، ويطبقون له ، ويلتزمون بتعاليمه ، ويتحركون فى إطارها ، حكاما ــ لابد ــ ومحكومين .

وإن النظام الإسلامى يحفل بكل الحلول التى تحقق السعادة لأتباعه ، وتوفر الأمن لأفراده ، وتجلب الرخاء لبلاده .

والاستقامة بملامحها المذكورة ، وقيام المطالبين بها بما عليهم نحوها تحقق السعادة فى الدنيا للمسلمين ، والأمن لهم ، وتساعدهم على التفوق فى الإنتاج بالقدر الذى يجلب الرخاء للبلاد ، ويجنبها الأزمات ، وذلك واضح عند التحلى بملامح الاستقامة :

فبالإيمان يتحقق ذلك ﴿ **ولو أن أهل القرى ءامنوا**

---

(١) الحجر : ٩ .

واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[1] **﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾**[2] .

وبالاتباع لمحمد ﷺ يتحقق ذلك ، فالتفوق والعلو يكون من شأنهم **﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾**[3] والآية وإن كانت فى قصة عيسى عليه السلام ، فقد قال الحسن : إن الوقف تام عند قوله تعالى **﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾**[4] ثم استأنف الكلام فقال تعالى **﴿ وجاعل الذين**

---

(١) الأعراف : ٩٦ .

(٢) نوح : ١٠ — ١٢ .

(٣) آل عمران : ٥٥ .

(٤) الآية بتمامها **﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾** آل عمران : ٥٥ ، والآية على قول الحسن من الموصول لفظا المفصول معنى .

اتبعوك .. ﴾ يا محمد **﴿ فوق الذين كفروا ﴾** أى بالحجة وإقامة البرهان ، وقيل : بالعز والغلبة ... والأمن والسعادة من نصيبهم **﴿ فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[1] ... ويحبهم الله تعالى ويغفر لهم ذنوبهم **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾**[2] .

وبالاعتصام بدين الله ، والالتفاف حوله ، وتطبيق أحكامه ، والالتزام بتعاليمه يتحقق ذلك ، إذ تتحول أحكام هذا الدين إلى واقع عملى ، وسلوك مشاهد ، ودراسة لأوجه الخلل من أجل علاجها ،وأوجه التفوق لمتابعة النجاح فيها ، وصيانتها ، فتصير العبادات سبيلا لإصلاح الضمير ، وتنمية الشعور ، وتربية النفوس ، وتكوين الجماعة . وتصير المعاملات وسيلة لإحراز التفوق وامتلاك القوة ... وأمكن كذلك توسيع دائرة الوحدة السياسية بين أطراف هذه الأمة ، ثم العمل على

(١) البقرة : ٣٨ .

(٢) آل عمران : ٣١ .

تحقيق التكامل الاقتصادى والثقافى والعلمى والتقنى ، والذى أضحى ضرورة مصيرية ، وبغير الاعتصام بهذا الدين الذى يمكّن من توسيع هذه الدائرة ، لا يمكن أن يكون لهذه الأمة وجود يذكر فى عالم التكتلات السياسية والاقتصادية ، حيث لم تعد اليوم إمكانية لتجمعات بشرية يقل تعدادها عن مائة إلى مائة وخمسين مليون نسمة »[1] وصدق الله العظيم ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾[2] .

وبعدم الركون إلى الغير يتحقق ذلك .. فإنهِ بالرغم من النهى الإلهى ، المؤكد للإبعاد عن التبعية ، والتخلص من أوزارها : « أدى استيراد المناهج وتضاربها ، وبعدها عن استلهام الشخصية الحضارية الإسلامية ، لبناء الذاتية الإسلامية ، إلى لون من التمزق النفسى ، والشخصية المهزوزة ، والرؤية الفكرية المضطربة ، وبذلك عجزت

---

(١) انظر : قضية التخلف العلمى ... ص ٢٤ .

(٢) آل عمران : ١٠١ .

هذه المناهج عن تحضير الإنسان لدوره المنوط به ، وتحقيق الهدف الذى وجد من أجله ؛ بل جعلته تابعا لها »[1] .

أقول : ولن يخلّص العالم الإسلامى من هذه التبعية ، والخروج من أسارها ، والتفوق حال البعد عنها ، إلا بأن تتحلى أفراده وجماعاته ، شعوبه وحكامه بملامح الاستقامة كاملة ، « ولاشك ــ فى هذه الحالة ــ أن ما يمتلكه المسلمون من رصيد ثقافى ، وتاريخ حضارى ، وموقع جغرافى ، وتجانس بشرى ، ومواد أولية ، وخامات ، وطاقات مختلفة ، ورسالة سماوية إنسانية ، وخطاب عالمى يؤهلهم للخروج من هذه التبعية ، وأن يقدموا شيئا مهما للحضارة المنقوصة بشكل عام ، ولو فى الناحية الفكرية على الأقل ، بعد أن أصبح العالم دولة واحدة ، وتيسرت وسائل الاتصال ، كما أن بإمكانهم ــ فى تلك الحالة ــ النهوض العلمى والتقنى على المستوى المادى العلمى .

---

(١) التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى ص ١٥ .

إضافة إلى ذلك ــ وتساعد على ذلك ــ فإن العقل المسلم اليوم ، والمهارات ، والسواعد الإسلامية ، تشكل مساحة كبيرة فى آلية التقدم العلمى والتقنى فى الغرب ، وأن مجموعة الأدمغة المهاجرة من العالم الإسلامى لسبب ــ أو لآخر ــ لو أتيحت لها الظروف والشروط والمؤسسات المناسبة ، لاستطاعت أن تختصر مسافة التخلف ، وتردم فجوته ، وتتخلص من التبعية ، وتقوى على ضعفها ، بل تستطيع أن تقدم شيئا آخر لايزال مفقودا على مستوى الحضارة البشرية »[1] .

وهذا ــ مع كل ما سبقت الإشارة إليه ــ هو الفلاح فى الدنيا .

---

(١) عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب قضية التخلف ص١٨ .

ب ـ نجاة فى الآخرة

١ ـ بشارة الملائكة

إذا كان الموت آخر منزل من منازل الدنيا ، وأول منزل من منازل الآخرة ، وإذا كانت الحياة البرزخية هى الطريق الفاصل بين الحياة الدنيا والآخرة ، وإذا كان العرض والحساب على الله تعالى من أصعب أحوال الآخرة ، كما أنه إذا كانت هذه الأمور الثلاثة : الموت ، وما فى البرزخ ، والعرض والحساب فى الآخرة ، من أشد الأزمات ، وأحرج اللحظات ،وأصعب المواقف على العبد ، فإن الاستقامة هى طوق النجاة لكل من أراد ــ من هذه الأزمات ــ النجاة .. ذلك أنه :

عند سكرات الموت ، وما أصعبها من لحظات ، والتى يصور أهوالها قوله تعالى ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا**

أنفسكم ﴾[1] ، والتى يصور شدتها قول رسول الله ﷺ ، ساعة وفاته « اللهم أعنى على سكرات الموت »[2] .

كما أنه عند لقاء القبر للميت إما أن يقول له « مرحبا وأهلا .. » ويترتب عليه ما يناسب ذلك ، ويصير له « روضة من رياض الجنة » وإما أن يقول له « لامرحبا ولا أهلا .. »[3] ويترتب عليه ما يناسب ذلك ويصير له « حفرة من حفر النار »[3] ويضغط عليه القبر ضغطة[4] ، تختلف منها أضلاعه ، ويحصل له منها ألم شديد وإيذاء ... إلى غيرَ ذلك .

وثالثا : إذا كان يوم الحساب ، وفيه **﴿ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾**[5] ، **﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴾**

---

(١) الأنعام : ٩٣ .

(٢) جزء من حديث رواه الترمذى ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى التشديد عند الموت .

(٣) انظر : الترمذى ، كتاب صفة القيامة ، باب ٢٦ .

(٤) الحديث رواه النسائى ، كتاب الجنائز ، باب ضمة القبر .

(٥) الحاقة : ١٨ .

وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾[1] .

عند هذه المواقف الثلاثة تظهر نتيجة الاستقامة ، حينما تتنزل عليهم الملائكة بالبشرى[2] ، وكأنها تقول لهم من بين الناس جميعا : يا من آمنتم .. ! يا من اتبعتم .. ! يا من اعتصمتم .. ! يا من لم تطغوا .. ! يا من لم تركنوا إلى الذين ظلموا .. ! ﴿ **ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم ﴾**[3] .

---

(١) عبس : ٣٤ — ٣٧ .

(٢) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، وابن القيم : الروح ص ١٢٩ .

(٣) فصلت : ٣٠ — ٣٢ .

٢ ـ الخلود فى الجنة

وإذا كانت الاستقامة طريقا للخروج من أزمات : التخلف ، والفقر ، والمرض ، والتبعية فى الدنيا ، وإذا كان هناك من النتائج ما هو أفضل من ذلك ، وهو بشارة الملائكة للمستقيمين فى المواطن الثلاثة المذكورة فإن الأفضل من الجميع ، والأعلى شأنا فى نتائجها ، هى : الخلود فى الجنة ، وبيان ذلك فيما أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن عمر قال « قال رسول الله ﷺ : إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ، يأهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم »[1] وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنه

---

(١) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .

« يقال لأهل الجنة : يأهل الجنة خلود لا موت ، ولأهل النار : يأهل النار خلود لا موت »[1] .

ومن ألزم هؤلاء ، وأحقهم بدخول الجنة ، والخلود فيها — جعلنا الله منهم — من بشرهم الله بذلك فى الدنيا ، وأخبر عنهم ؛ تطمينا لهم ، ودعوة للامتثال بهم فى قوله تعالى ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[2] .

ولا نعمة فوق هذه النعمة ، ولا نتيجة فوق هذه النتيجة .. اللهم أعنا على العمل لها ، وأنعم علينا بها .

---

(١) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب .

(٢) الأحقاف : ١٣ ، ١٤ .

خاتمة

إذا كانت كل الأنظمة تسعى إلى إسعاد أتباعها ، والنظام الإسلامى كذلك !! ، فإن هذه الأنظمة لا تنظر ولا تهدف إلى أبعد من ذلك فى الدنيا ، ولو استطاعت إسعاد من يؤمن بها ، ويلتزم بتنفيذها ، كانت ناجحة كل النجاح فى نظر هؤلاء الأتباع ، ونظر المراقبين لها .. فى الوقت الذى ينظر ويهدف النظام الإسلامى — فوق رغبته فى إسعاد أتباعه وفلاحهم فى الدنيا — إلى إنقاذهم من : أهوال ، وأزمات ، وشدائد ، ستواجه الجميع ، ويتعرضون لها بعد هذه الحياة الدنيا ، بل يهدف إلى بشارتهم وإسعادهم وخلودهم فى النعيم الإلهى ، الذى يجدون فيه « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

ثم ..

أليس الإيمان بعد ذلك أحق أن يكون منهج حياة ! . أليس الاتباع لمحمد ﷺ بعد ذلك أحق أن نلتزم به ، ونحرص عليه !! . أليس الاعتصام بحبل الله تعالى بعد ذلك أحق أن يكون هدفا نعمل للمحافظة ــ بعد الوصول ــ إليه !! . أليس الطغيان بعد ذلك أحق أن نتجنبه ، ونبتعد عن ضعفنا البشرى أمام إغرائه !! أليس الركون إلى الغير بعد ذلك مرضا ، ينبغى علينا أن نعالج منه ، ونتخلص من أوزاره !! . أليست الاستقامة ــ كما اتضحت جليا ــ بعد كل ذلك ينبغى أن تكون سمة رئيسية ، وعلامة بارزة لعلماء الأمة ، وحكامها ، وأفرادها !! .

ثم ..

أليست نتائج الاستقامة فى الدنيا والآخرة كما أشرنا إليها سابقا : داعية للعلماء ، والحكام ، والأفراد ، إلى المسارعة فى التحلى بملامحها ، والاتصاف بها ، والمحافظة عليها .

بلى .. ! وألف بلى .. ! .

المراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ أدب الدنيا والدين .

٣ ــ إرشاد العقل السليم إلى الكتاب الكريم .

٤ ــ بهجة المجالس وأنس المجالس .

٥ ــ التفسير الكبير للفخر الرازى .

٦ ــ التنمية الاقتصادية .

٧ ــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

٨ ــ زاد الدعاة « من هدى القرآن الكريم » .

٩ ــ السراج المنير .

١٠ ــ سنن الترمذى .

١١ ــ سنن ابن ماجه .

١٢ ــ سنن النسائى .

١٣ ــ فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

١٤ ـــ قضيةالتخلف العلمى .

١٥ ـــ لسان العرب .

١٦ ـــ مجلة العربى .

١٧ ـــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

١٨ ـــ المفردات .

١٩ ـــ المقاصد الحسنة .

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صدر من هذه السلسلة

- الدعوة إلى الله « الدعوة الفردية » .
- الإيمان ومتطلباته .
- الآفات العشرون .
- الأخوة فى الله .
- الجريمة فى الشريعة الإسلامية .
- الجهاد فى سبيل الله .
- حياة العقيدة ورجالها .
- ظاهرة الغلو فى التكفير .
- من آداب الإسلام .
- فى التربيـــة .
- الأسرة بين الشرع والقانون .
- الإسلام والعلـــم .
- النصيرية فى الميزان .
- دفع شبهات ورد مفتريات .
- أخطار التبشير فى ديار المسلمين .
- إنهم يحفرون الأخدود .
- مدارس الأشبال .

- مصر الثائرة خلال العصور .
- أفغانستان المجاهدة .
- السلام فى الإسلام .
- قطوف دانية من الكتاب والسنة .
- تأملات فى الإسراء والمعراج .
- الزواج وحقوق الزوجين .
- طريق الأخت المسلمة .
- مع العارفين .

* * *

رقم الإيداع

٨٩ / ٧٩٨٣

دار الطباعة والنشر الإسلامية

مدينة العاشر من رمضان ـ المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ شارع ابن هانىء الأندلسى ت : ٦١٨١٣٧